

## سؤالك على شاشة القمر - الحلقة (16)

### الولاية التكوينية

الخميس : 2017/3/2م - 3 جمادي الثاني 1438 هـ

❖ هذه الحلقة مُخصّصة للإجابة على سؤالٍ طُرِحَ من كثيرٍ من المؤمنين والمؤمنات من مُحبي أهل البيت عليهم السلام وكانت الاستجابة للاتصال الذي وردنا من الشاعر العزيز/ علي طمّة الكربلائي. سيكون حديثي عن الولاية التكوينية في مُقدّمة وفي لوحات، أُحاول أن ألوّن صورتها بجواهر الكتاب والعترة. ❖ أبدأ بالمُقدّمة وهي تشتمل على نقاط:

#### 🌟 النقطة 1: وقفة عند معنى هذا العنوان (الولاية التكوينية)

هل هذا المُصطلح وردَ بهذه التركيبة وهذا النحت في آيات الكتاب وفي حديث العترة؟ الجواب: لا. هذا المُصطلح نحتُهُ علماء الشيعة.

نحن عندنا في حديث أهل البيت عنوان (الولاية)، أمّا عنوان (الولاية التكوينية) فمضمونه موجود في آيات الكتاب وفي حديث أهل البيت وإن كان المُصطلح بهذا النحت لم يرد في حديثهم صلوات الله عليهم.

● مضمون مُصطلح (الولاية التكوينية) ينتشر في أحاديث أهل البيت، وهذا المضمون يتناول الجانب التشريعي والتكويني، علماً أنّ التشريع هو انعكاس لعالم التكوين ولا انفكاك بينهما.

■ تعريف مُوجز ومُختصر للولاية التكوينية لِمحمد وآل محمد: الولاية التكوينية لِمحمد وآل محمد هي ذلّة كلّ شيءٍ لهم صلوات الله عليهم، وهذا المضمون مأخوذ من الزيارة الجامعة الكبيرة (وذلّ كلّ شيءٍ لكم).. وهذا المعنى (وذلّ كلّ شيءٍ لكم) هو بعينه جاء في مُقدّمة دعاء كميل: (وبقوّتك التي قهرت بها كلّ شيء، وخضع لها كلّ شيء، وذلّ لها كلّ شيء..). وهذه القوّة التي ذلّ كلّ شيءٍ هي نفسُها التي نذكرها في دعاء السحر (اللهم إني أسألك بقدرتك التي استطلت بها على كلّ شيء، وكلّ قدرتك مُستطيلة..)

فولايتهن التكوينية صلوات الله عليهم هي بعينها ولاية الله، وما من شيءٍ في هذا الوجود إلّا بإذنه ولطفه وفيضه، هذا هو التعريف المُجمل والمُختصر للولاية التكوينية.

🌟 النقطة 2: إنني في حديثي هنا لا أريد أن أستدلّ على ثبوت الولاية التكوينية لهم صلوات الله عليهم كما يصنع العلماء والخطباء وأهل الكلام.. أنا حديثي مع شيعة أهل البيت عليهم السلام فلا أحتاج لاستدلال طويل عريض.

● أنا أقول للشيعة: هل قرأتم الزيارة الجامعة الكبيرة؟! الزيارة الجامعة الكبيرة من أوّل لفظة فيها إلى آخر لفظة فيها تصرّخ بثبوت الولاية التكوينية لهم صلوات الله عليهم، بل تصرّخ بما هو أكثر من ذلك.

● إذا كنتم قرأتم الزيارة ولم تجدوا هذا المعنى فلا خير في زيارتكم، وهذا ليس كلامي بل كلام سيّد الأوصياء حين يقول: (ألا لا خير في عِلْمٍ ليس فيه تفهّم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكّر)

■ الزيارة الجامعة الكبيرة تُصرّح بثبوت الولاية التكوينية لِمحمد وآل محمد بشكل عام، ولإمام زماننا على وجه الخصوص.

وسأبين لكم هذا المعنى في معادلة رياضية: أوائل الزيارة الجامعة الكبيرة تُخاطب أهل البيت عليهم السلام أنّهم (أولياء النعم)

فأل محمد عليهم السلام أولياء النعم + (وإياي الخلق إليكم وحسابهم عليكم) + وذلّ كلّ شيءٍ لكم = وأمره إليكم. توضيح المعادلة:

يعني ما من نعمة في هذا الوجود إلّا وهم صلوات الله عليهم أولياؤها وهم سادتها، والمنعم من حقّه أن يكون مُحاسباً.

● تعبير (إيَابُ الخلق إليكم وحسابهم عليكم) هذا هو نفس المضمون في قولنا (إنَّا مِنكم وإنَّا إليكم راجعون) والنهايات عندهم، والحسابُ إليكم أيضاً. فإذا كانت النِّعم منكم والإيَاب إليكم والحساب عليكم، هذا يعني أنَّ كلَّ شيء يعيش في عزَّتكم، وهذا يعني أنَّ كلَّ شيء ذلَّ لكم فتكون النتيجة هي: (وأمره إليكم) علماً أنَّ الجار والمجرور في هذه العبارة (وأمره إليكم) جاء متأخراً، وهذا يعني في لغة العرب أنَّ الأمر بتمامه يعود إليكم.

■ عبارة (ومَن قصده توجَّه إليكم) في الزيارة الجامعة الكبيرة هذه العبارة هي الدين.. هذه هي الولاية التشريعية، وعبارة: (وأمره إليكم) هذه العبارة مُطلقة تشمل الولاية التكوينية والولاية التشريعية، فالولاية التشريعية هي جزء من ولاية الإمام المعصوم.

هذا هو دستورنا العقائدي (الزيارة الجامعة الكبيرة).

❁ **النقطة 3:** هل نستطيع أن ندرك كُنه الولاية التكوينية؟ الجواب: كلا. فالذي سيُطرح في حديثي هنا في هذا البرنامج هو مُقاربة علميَّة وحشد لمجموعة من البديهيات ومجموعة من الأمثلة والحقائق التي وصل إليها العِلْم البشري.. نستطيع من خلالها أن نتلمَّس شيئاً من المُقاربة العلمية نستشف منها معنى الولاية التكوينية لمحمد وآل محمد عليهم السلام.

❁ وقفة فيها تقريب لفكرة عدم قُدرتنا على معرفة كُنه الولاية التكوينية لمحمد وآل محمد عليهم السلام.

■ وقفة عند مُقتطفات من الحديث الرضوي في وصف الإمام المعصوم في [الكافي الشريف: ج1] (فَمَن ذَا الذي يبلغ معرفة الإمام، أو يُمكنه اختياره، هيهات هيهات، ضلَّت العقول، وتاهت الحُلوم، وحارت الأبواب، وخسِست العيون وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحُكماء، وتقصرت الحُلُماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكَلَّت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعيَّيت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله، وأقرَّت بالعجز والتقصير، وكيف يُوصف بكلِّه، أو يُنعت بكنهه، أو يُفهم شيء من أمره، أو يُوجد من يقوم مقامه ويُغني غناه، لا كيف وأني؟ وهو بحيث النجم من يد المُتناولين، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟! أظنون أنَّ ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله..!)

كلَّ هذه القُدرات والإمكانات والمواهب هي عاجزة عن وصف شأن من شأن الإمام المعصوم أو فضيلة من فضائله، وأقرَّت بالعجز والتقصير إذا ما اطلعت على الحقيقة.. والولاية التكوينية هي شيء من أمر الإمام المعصوم، فكيف لي أن أفهمها؟! كما تقول الزيارة الجامعة : (وأمره إليكم).. هذا هو الأمر الإلهي المُوكل إليهم فكيف لي أن أفهم كُنهه وحقيقته؟!

■ لقطة جانبية من حديث طويل لسيد الأوصياء في كتاب [الاحتجاج] للطبرسي.

سائل يقول لسيد الأوصياء: (مَن هؤلاء الحجج؟ قال: هم رسول الله، ومَن حلَّ محلَّه من أصفياء الله...) إلى أن يقول: (وهم ولاة الأمر الذين قال الله فيهم: {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم}...) ثمَّ يسأل السائل سيّد الأوصياء: ماذا الأمر؟ فيُجيبه سيّد الأوصياء ويقول: (الذي به تنزل الملائكة في الليلة التي يفرق فيها كلَّ أمر حكيم، من: خلق، و رزق، وأجل، وعمل، وعُمر، وحياة وموت، وعلم غيب السماوات والأرض، والمعجزات التي لا تنبغي إلَّا لله وأصفياه والسفرة بينه وبين خلقه، وهم وجه الله الذي قال: {فأينما تولوا فثمَّ وجه الله} هم بقاء الله - يعني المهدي)

● هذا المقطع الذي يجري في ليلة القدر نحن لا نستطيع أن نُحيط به، ولذلك كانت هناك مواهبة بين معرفة فاطمة ومعرفة ليلة القدر، وفاطمة حقيقة أَقفلت العقول باتِّجاهها، العقول مبطومة عن إدراك كُنه فاطمة، وكذلك الحال مع ليلة القدر، فالعقول مبطومة عن إدراك ليلة القدر.. والحديث هنا مقطع يُمثِّل جزءاً من ولايتهم التكوينية. إذا كان هذا الجزء من ولايتهم التكوينية نحن عاجزون عن إدراك كُنهه، فما بالك بالحديث عن كلِّ ولايتهم التكوينية!

❖ **زُبدة المخض من كل هذا:** أن كل الذي سيُطرح في هذه الحلقة في اللوحات القادمة هو أننا لا نستطيع أن ندرك كُنه الولاية التكوينية لمحمد وآل محمد عليهم السلام، ولكن في مقارنة علمية نحاول أن نستشف شيئاً من معناها. ● إضافة إلى ذلك، أن الولاية التكوينية التي يسأل عنها المؤمنون هي الوجه البشري للولاية التكوينية، أما الوجه الثاني وهو الوجه الربوبي للولاية التكوينية فلا يُحدث عنه. قطعاً إذا كنّا عاجزين عن إدراك كُنه الولاية التكوينية في وجهها البشري، فمن باب أولى سنكون أعجز وأعجز عن إدراك كُنه الولاية التكوينية في وجهها الربوبي.. علماً أنني في كثير من أحاديثي أنا أصطّح على الوجه الثاني للولاية التكوينية وهو (الولاية التكوينية في وجهها الربوبي) أصطّح عليه بـ(الولاية الكونية).

❖ كما قلت في بداية حديثي سأقسّم حديثي إلى لوحات، كل لوحة من هذه اللوحات تتناول جهة من الموضوع.

❖ **اللوحة 1:** الآية 38 من سورة النمل وما بعدها {قال يا أيها الملأ أئكم يأتييني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين\* قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين..} هذه الآيات تتحدث عن آصف بن برخيا. هذا العفريت لا يملك ولاية تكوينية وإنما يملك قدرة تكوينية كما نمتلك نحنُ قدرة تكوينية على الأكل والشرب والحركة والروح والمجئ والنوم وهكذا..

● العفاريات من الجن هم صنف من الجن يمتلكون من القدرات ما لا تمتلكه الأجناس الأخرى.

■ قول الله تعالى {قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك} يعني أنه سيحضر عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين بسرعة هي أسرع من الضوء! يعني سرعة لا نعلمها.. وهذه القضية تحتاج أيضاً إلى قدرة هائلة في حفظ العرش حتى لا يتلاشى بسبب السرعة الهائلة في نقله؛ لأن السرعة كلما ازدادت تتلاشى الكثافة وهذا يؤدي إلى تبدل الأشياء! (علماً أن الروايات تُخبرنا أنه - أي وصي سليمان - كان عنده فقط حرف واحد من حروف الإسم الأعظم!)

وقد ذكرت الآية هذا الوصف (الذي عنده علم من الكتاب) للإشارة إلى أن الذي سيقوم به هو مرتبط بعلم الكتاب. ■ أنا جئت بهذه الواقعة مثال فقط، وإلا فلا مقايضة أبداً بين الولاية التكوينية لمحمد وآل محمد وبين هذا المثال.. هذا المثال يُقرب الصورة من وجهه ويُبَعدها من وجوه كثيرة.

■ هناك من يقول أن هذه العملية (عملية نقل عرش بلقيس) جرت هكذا: أن آصف قطع فيض الوجود عن عرش بلقيس في اليمن ووصل فيض الوجود بعرشها في فلسطين (كعملية فصل التيار الكهربائي) أي أنه أعدم عرش بلقيس في اليمن وأوجد عرش بلقيس في فلسطين بنحوٍ مُطابق للعرش المعدم. (هذا قول بعض الفلاسفة والعرفاء والصوفية).

■ هناك وجه آخر وهو أن العملية تمّت بحسب قوانين الطيّ والنشر بنحوٍ سريع (مثلما أراد العفريت حمل العرش) وهذا المعنى يمكن أن يفهم من الرواية التالية في [الكافي الشريف: ج1] جاء فيها: (عن علي بن محمد النوفلي، عن إمامنا الهادي، قال: سمعته يقول: اسمُ الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، كان عند آصف حرف فتكلم به فانخرقت له الأرض - طويت - فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان هذه عملية طيّ ونشر مع سرعة ونقل - ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب)

**السؤال هنا:** هل أن أهل اليمن أحسوا بانخراق الأرض؟ أو أن أهل فلسطين أحسوا أن أرض اليمن جاءت فاتصلت بأرض فلسطين؟ قطعاً لا. ولهذا سيكون هذا التصور ساذج إذا تصوّرنا أن العملية جرت بشكل حسي يستشعره الجميع.. نحن لا نعرف كيف جرت العملية، ولكن الأمة يتحدثون بنحوٍ يُقرب الفكرة. علماً أن هذه الرواية جاءت بلسان المُداراة، وإلا فإن أهل البيت عليهم السلام عندهم جميع حروف الإسم الأعظم، وسأتي على هذا مطلب.

■ الآية الأخيرة في سورة الرعد {ويقول الذين كفروا لست مُرسلاً قُلْ كفى بالله شهيداً بيني وبينكم وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}

هذه الآية تتحدّث عن علم الكتاب عموماً بشكل مُطلق ولم تقل أنّ الإمام عنده 72 حرف فقط.. فالحروف الثلاثة والسبعين بتمامها عند عليّ وآل عليّ صلوات الله عليهم.. كما نقرأ في سورة يس آية 12 {وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} وسيّد الأوصياء يقول: أنا ذلك الإمام المُبين الذي أحصى الله فيه كُلَّ شيء.. إذن فالرواية التي تقول أنّ الله تعالى استأثر بحرف واحد عنده تتعارض مع هذه الآيات، ولهذا نحن لا نعتقد بتلك الرواية.

■ يُمكن أن يحتمل المُحتملون أنّ العملية جرّت في هذا العالم الحسيّ، ولكن لِسرعتها لم يشعر بها الناس.. بالنتيجة: نحن لا نملك أي تصوّر عن الذي جرى بالضبط!

**\* اللوحة 2:** عرض نماذج من حديث العترة التي تتعارض مع نفس المضمون الذي أشرتُ له قبل قليل من أنّ عليهم صلوات الله عليهم كاملٌ مُحيط بجميع حُرُوف الإسم الأعظم الذي تتحدّث عنه في الأدعية (وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأعزّ الأجل الأكرم الذي خلقتَه فاستقرّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك)

■ حديث الإمام الصادق في [بصائر الدرجات: ج2]

(إنّ لله علمين علّم تعلمه ملائكته ورسله، وعلّم لا يعلم غيره، فما كان ممّا يعلمه ملائكته ورسله فنحنُ نعلمه وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فإلينا يخرج) فهذه الرواية تتحدّث عن مُستوى آخر من مستويات البيان.

■ رواية أخرى لإمامنا الباقر عليه السلام: (إنّ لله علمين علّم مبذول وعلم مكفوف، فأما المبذول فإنّه ليس من شيء يعلمه الملائكة والرسول إلّا ونحنُ نعلمه، فأما المكفوف فهو الذي عنده في أم الكتاب) والذي هو عند الله في أم الكتاب هو عليّ صلوات الله عليه، كما في حديث إمامنا الصادق عليه السلام في معنى الصراط المُستقيم يقول: (هو أمير المؤمنين ومعرفته، والدليل على أنّه أمير المؤمنين قول الله عزّ وجل: {وإنّه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم} وهو أمير المؤمنين أم الكتاب)

■ رواية مهمّة جدّاً لإمامنا الصادق في [الكافي الشريف: ج1] (عن سدير قال: كنتُ أنا وأبو بصير ويحيى البرّاز وداود بن كثير الرّقي في مجلس أبي عبدالله، إذ خرج إلينا وهو مُغضب، فيما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلّا الله عزّ وجلّ، لقد هممتُ بضرب جاريّتي فلانة فهربتُ منّي فما علمتُ في أيّ بيوت الدار هي).

قال سدير: فلما أن قام عن مجلسه وصار في منزله، دخلتُ أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له: جَعَلنا الله فداك، سمعناك أنت تقول: كذا وكذا في أمر جاريّتك، ونحن نعلم أنّك تعلم علماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب. قال: يا سدير ألم تقرأ القرآن؟ قلتُ: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله {قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك}؟ قلتُ: جعلتُ فداك قد قرأته، قال: فهل عرفتَ الرجل؟ وهل علمتُ ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلتُ: أخبرني به. قال: قدّر قطرة من الماء في البحر الأخضر فيما يكون ذلك من علم الكتاب، قال: قلتُ: جعلتُ فداك ما أقلّ هذا؟ فقال: يا سدير ما أكثر هذا أن ينسبه الله عزّ وجلّ إلى العلم الذي أخبرك به، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ أيضاً؟ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ؟ قال: قلتُ: قد قرأته جعلتُ فداك، قال: أ فمنّ عنده علم الكتاب كلّهُ أفهم، أم مَنْ عنده علم الكتاب بعضه؟ قال: لا، بل مَنْ عنده علم الكتاب كلّهُ، فأوماً بيده إلى صدره وقال: علّم الكتاب والله كله عندنا، علّم الكتاب والله كله عندنا).

في كثير من الأحياء الخطباء والعلماء يبترون هذه الرواية، فقط يذكرون صدر الرواية ويستدلّون به على عدم معرفة أهل البيت بعلم الغيب!!

● هناك نقطة مهمة وهي أنّ هذا الحديث دار في مجلس عام للإمام الصادق - أي الصالة العامة لاستقبال الجميع - فهذه الرواية تُبين أنّ علم الكتاب بكلمه عند آل محمد عليهم السلام، وأمّا الروايات التي تقول أنّ عند آل محمد اثنين وسبعين حرف، فهذه تتحدّث بلسان المُدارة وليس الحقيقة.

✱ **اللوحة 3:** عبارة عن مجموعة إشارات ورموز مُنتقاة من كلمات العترة تُشير إلى ولايتهم التكوينية والكونية كذلك.

★ **الإشارة 1:** وقفة عند هذه العبارة الموجزة من زيارة النُذبة في [بحار الأنوار: ج99] (فما شيءٌ منّا إلّا وأنتم له السبب وإليه السبيل) هذه العبارة المُختصرة تُحدّثنا عن الولاية التكوينية لمحمد وآل محمد.

معنى قوله {فما شيءٌ منّا} يعني نحنُ المخلوقات طُراً ما شيءٌ منّا إلّا وأنتم له السبب وإليه السبيل يا آل محمد (يعني أنتم الأسباب وأنتم السبيل).

★ **الإشارة 2:** وقفة عند مُقتطفات من حديث سيّد الأوصياء مع طارق بن شهاب في [بحار الأنوار: ج25] والإمام يُحدّثنا عن آل محمد فيقول:

(فهم سرّ الله المخزون، وأولياؤه المقربون وأمره بين الكاف والنون، لا بل هم الكاف والنون، إلى الله يدعون وعنه يقولون، وبأمره يعملون، علم الأنبياء في علمهم، وسرّ الأوصياء في سرهم، وعزّ الأولياء في عزهم، كالقطرة في البحر، والذرة في القفر..)

الذرة قد تُطلق على النملة الصغيرة جداً.. وقد يُقال لهذه الأجزاء الصغيرة التي تظهر في حزمة الضوء الداخلة لمكان مظلم

● قول الإمام (وأمره بين الكاف والنون) فهم صلوات الله عليهم أمره.. والكاف والنون هي رمز لخزانة أسرار التكوين.. فالباري تعالى لا يقول للشيء كُن فيكون، لأنّه إذا أراد أمراً كان، ولا يحتاج أن يقول له (كُن).  
تعبير (كُن) هي رمز للحقيقة المُحمّدية التي هي خزانة أسرار الله تعالى ومن هذه الخزانة صدر الوجود.. وهو نفس المضمون في قوله تعالى {نون \* والقلم}

■ وقفة عند مقطع من زيارة إمامنا الرضا عليه السلام المعروفة بالزيارة الجوادية في كتاب [بحار الأنوار: ج99] جاء فيها:

(السلام على مُفتخر الأبرار، ونائي المزار، وشرط دخول الجنّة والنار، السلام على مَنْ لم يقطع الله عنهم صلواته في آناء الساعات، وبهم - أي آل محمد - سكنت السواكن، وتحركت المُتحرّكات.. هذه الباء في قوله (وبهم سكنت السواكن..) هذه باء السببية، باء الواسطة.. والسواكن والمُتحرّكات ترتبط في عالم المادّيات وما وراء المادّيات وفي عالم المعنويات.. وهو عنوان واضح وصريح لولايتهم التكوينية صلوات الله عليهم.

■ وقفة عند مُقتطفات من حديث المعرفة بالنورانية في [بحار الأنوار: جج26] أيضاً تعرض صورة أخرى من صور ولايتهم التكوينية صلوات الله عليهم: (لو شئنا خرقنا السماوات والأرض والجنّة والنار، ونعرج به - أي بالإسم الأعظم - إلى السماء ونهبط به الأرض ونُغرب ونُشرق وننتهي به إلى العرش فنجلس عليه بين يدي الله عزّ وجل، ويُطيعنا كلّ شيء حتّى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجال والشجر والدواب والبحار والجنّة والنار، أعطانا الله ذلك كلّهُ بالإسم الأعظم الذي علّمنا وخصّنا به..)

■ مُقتطفات من حديث الخيط لإمامنا السجّاد في [بحار الأنوار: ج26] (فنحنُ نفعلُ بإذنه ما نشاء، ونحنُ إذا شئنا شاء الله وإذا أردنا أراد الله..) عبارة واضحة جداً دالّة على ولايتهم التكوينية.



■ وقفة عند حديث الإمام الجواد في [الكافي لشريف: ج1]

(عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني فأجريت اختلاف الشيعة فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى لم يزل مُتفرداً بوحدانيته ثم خلق مُحَمَّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم فهم يُحلّون ما يشاؤون ويُحرّمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلّا أن يشاء الله تبارك وتعالى).

★ الإشارة 3 والأخيرة في هذه اللوحة هي: ما جاء في حديث إمامنا الباقر عليه السلام في كتاب [دلائل الإمامة] والإمام يتحدّث في الرواية عن أمّه الزهراء فيقول: (ولقد كانت طاعتها مفروضة على جميع مَنْ خلق الله من الجنّ والإنس والطير والبهائم والأنبياء، وكلّ شيء). طاعتها مفروضة على كلّ الكائنات في جهة التكوين وفي جهة التشريع أيضاً.

\* اللوحة 4 والأخيرة: هي فيما يرتبط بحديثي عن الولاية التكوينية.. أشرتُ في حديثي السابق عن الوجه البشري للولاية التكوينية لمحمد وآل محمد وقُلت: إذا استطعنا أن نستشف شيئاً من معنى الولاية التكوينية للمعصوم في بُعدها البشري، فحينئذٍ يمكننا أن نستشف شيئاً من معنى الولاية التكوينية في وجهها الربوبي.

■ وقفة عند رواية الإمام الصادق في [تفسير البرهان: ج1] (عن المُفضّل بن عُمر عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: إنّ لله عزّ وجلّ اثني عشر ألف عالم، كلّ عالم منهم أكبر من سبع سموات وسبع أرضين، ما يرى كلّ عالم منهم أنّ لله عزّ وجلّ عالماً غير عالمهم، وأنا الحجة عليهم - أي أنا الحجة على هذه العوالم). كيف لنا أن نتصوّر هذه الأعداد الهائلة والواسعة من العوالم؟! وهذا كلّه يدخل تحت الوجه البشري لولايتهم صلوات الله عليهم.

■ وقفة عند هذا المقطع من دعاء شهر رجب: (صلّ على عبادك المُحتجبين، وبشرك المُحتجبين، وملائكتك المُقربين، والبُهم الصافين الحافين). البشر المُحتجبين هذه مظاهر محمد وآل محمد في هذه العوالم الأخرى غير عالمنا.. والبُهم الصافين الحافين هذه صنوف وأمم من الملائكة.. وهذا كلّه يدخل تحت عنوان (الولاية التكوينية في وجهها البشري.. أما الوجه الربوبي للولاية التكوينية فمن خلال ما تقدّم ومن خلال أمثلة سأشير إليها ربّما تكون الفكرة قريبة شيئاً ما).

أقول: نحن عندنا في جهة من جهات وجودنا ولاية تكوينية محدودة، وفي جهة أخرى من وجودنا عندنا ولاية تكوينية غير محدودة.

أما الولاية التكوينية المحدودة التي عندنا فهي ولايتنا على أنفسنا (كتحريك أيدينا وجوارحنا وقبضها وبسطها إلى غير ذلك) و وراء هذا الجزء من الولاية يوجد جزء من علم. فالولاية لا تكون إلّا مع العلم والعلم لا يكون كاملاً إلّا مع الحكمة.. فإذا كنّا بخصوص أنفسنا فملك مقداراً من العلم والحكمة للحفاظ على هذه الولاية إذا كان الإنسان طبيعياً.. فمن خلال هذا الجزء من الولاية الموجود عندنا نستطيع أن نستشف شيئاً من معنى الولاية التكوينية للمعصوم في بُعدها البشري

■ الآية 12 وما بعدها من سورة الجاثية {الله الذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون\* وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} هذا التسخير الذي تحدّث عنه الآيات تسخير نسبي محدود.. ومعنى قوله {وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض} يعني جعل في هذه الأشياء قابلية أن تتفعل بتأثير منّا.. فأعطانا قدرّاً من العلم وقدرّاً من المعرفة وقدرّاً من الحكمة وقدرّاً من الولاية ولكنّها محدود لأنّ أوعيتنا محدودة، فعلمنا محدود وحكمتنا محدودة.. أما آل محمد صلوات الله عليهم فهم قلب الله الواعي كما ورد ذلك في كلماتهم الشريفة، وقلب الله تعالى ليس له حدود، ولذلك

أعطاه كُلِّ العِلْمِ وأعطاه كُلَّ الحكمة فصارت ولاية المعصوم مُطلقة.. ونحن على نقصنا وعيوبنا ومع ذلك الله تعالى أعطانا ولاية بحدودنا.

■ الآية 20 من سورة لقمان: {ألم تروا أنَّ الله سَخَّرَ لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نِعَمَهُ ظاهراً وباطناً..}

هذا المِثَال يُقَرِّبُ لنا نفس المعنى الذي قرأته لكم من دلائل الإمامة، أعني: حديث الإمام الباقر أنَّ أمَّه الزهراء كانت طاعتها مفروضة على جميع مَنْ خَلَقَ الله؛ لأنَّها قلب الله الواعي.. فالباري تعالى أعطاهَا عِلْمَهُ وأعطاهَا حِكْمَتَهُ كما في حديث الكساء الشريف.

- الغريب أنَّ الذين يقرؤون القرآن يقبلون أنَّ الله يُسَخِّرُ لنا ما في السماوات وما في الأرض - ويَحَسِّبنا - ولكنَّهم لا يقبلون أنَّ يُسَخِّرُ ما في السماوات وما في الأرض لِ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ بحسب علمهم الكامل وحكمتهم الكاملة!!

■ الله تعالى عطانا ولاية تكوينية محدودة وأعطانا ولاية تكوينية غير محدودة وهي قوَّة الخيال العجيبة.. فنحن في عالم الخيال نستطيع أن نوجد المليارات من الموجودات بكل الأوصاف والمواصفات وفي نفس الوقت نستطيع أن نُعَدِّمها، وهذا يقودنا إلى فهم معنى الحديث الشريف (مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربَّه) وربُّ الأرض هو إمام الأرض كما ورد في أحاديث العترة الطاهرة.

جُزء من معرفة النفس أن تعرف أسرار قوَّة الخيال التي تمتلكها.. فالباري تعالى أعطانا هذه القوَّة مثال من خلاله نستطيع أن نستشَفَّ معنى الولاية التكوينية لدى المعصوم عليه السلام.

● **لو أعطينا الولاية التكوينية في صفحة الوجود لأفسد الناس في الأرض، ولكنَّه أعطاهَا لِ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ لأنَّ علمهم وحكمتهم كاملة.**

■ حديث الإمام الصادق في [الكافي الشريف: ج1] (إنَّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نُورَت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نُورَت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه مُحَمَّدٌ وعليٌّ...) الكان والمكان هنا عناوين تتحدَّث وتُشير إلى الكلمة الأولى والمشئمة الأولى التي خلقها الله.

■ دعاء السَّخَر هو من الأدعية التي تحدَّثت عن الولاية التكوينية لِ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ في وجهها الربوبي.. فهذه الأوصاف المذكورة في دعاء السَّخَر المعروف بدعاء البهاء تتحدَّث عن ولايتهم التكوينية صلوات الله عليهم السارية في كُلِّ أنحاء الوجود.. وهذا المعنى يتجلَّى بشكلٍ واضح في الزيارة الجامعة الكبيرة: (بأي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي، ذُكِّركم في الذاكرين، وأسماؤكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النفوس وآثاركم في الآثار وقبوركم في القبور، فما أحلى أسماءكم وأكرم أنفسكم وأعظم شأنكم وأجلَّ خطركم وأوفى عهدكم وأصدق وعدكم..)

فكلُّ ما في هذا الكون مُرتبط بهم صلوات الله عليهم من بداياته ونشأته الأولى من التسبيح، وفي كُلِّ مراتبه.. فالتسبيح هو أساس الوجود وأصل الوجود ومادَّة الوجود ونحن نقرأ في زيارتهم الشريفة (بكم تُسَبِّح الأرض التي تحمل أبدانكم وتستقرُّ جبالها على مراسيها)